العرب
الإثنين 2019/09/16
السنة 42 العدد 11469

«فتى الجحيم» فانتازيا تمزج التاريخ بالأساطير والخيال العلمي

فيلم يستند على شخصية كارتونية شعبية تنقذ البشرية من السحرة والأشرار

ربما يجد المشاهد في فيلم "فتى الجحيم" للمخرج نيل مارشال الكثير ممّا يحقّق له متعة المشاهدة، الفانتازيا التي يتخللها السحر والعودة إلى أعماق التاريخ ومزج الماضي بالحاضر، فضلا عن الخارقية المعبرة عن فكرة الخيال العلمي.

الهدف إنقاذ البشرية ممن يتربّصون بهم

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

حاول المخرج نيل مارشال في فيلمه الجديد "فتى الجحيم" الجمع بين الفانتازيا والتاريخ والماضي بالحاضر في فيلم خيال علمي خارق، وقد نجح في ذلك، حيث بقينا خلال ساعتين من الزمن نتنقّل زمانيا ومكانيا مع هيلبوي، وهو يخوض مغامراته متنقلا بين الأزمنة باحثا عن جذوره ومتمتعا بقدرة خارقة تحول بينه وبين الموت.

وقصة الفيلم تنتمي إلى قصص ورسومات الكوميكس الأكثر شعبية التي كانت مصدرا للعديد من الأفلام الأميركية التي حقّقت نجاحات تجارية ملحوظة. وأما قصة هيلبوي هذه، فتعود إلى مبدعها فنان الكوميكس الأميركي مايك منكولا الذي أبدع قصص كوميكس أخرى، لكن قصة ورسوم هيلبوي تعد الأكثر شهرة في مساره الإبداعي.

> الفيلم يعتمد في حبكته الدرامية على الأساطير والمرويات الشعبية في الموروث الإنكليزي، فضلا عن قصص السحرة والساحرات

ومع بداية مشاهد الفيلم الأولى نعود إلى العصور الوسطى وإلى العام 500 ميلادي، حيث تقع المواجهة بين الملك آرثر ملك إنكلترا في ذلك الحين وبين ساحرة خطيرة هي نيموي (الممثلة ميلا جافوفيتش) تنتهي بدحر الساحرة وتقطيع أوصالها لكي لا يلتحم جسدها مجدّدا وتعود إلى أعمال الشر وسفك الدماء.

ومن ثمة ينتقل المُتابع بشكل غير متوقع إلى مشاهد تقع في المكسيك في زمننا الراهن، حيث سنتعرف على شخصية هيلبوي للمرة الأولى (الممثل ديفيد هاربور)، وهو كائن غريب ومخيف يمتلك ذراعا عادية وأخرى عملاقة وبقايا قرنين يخرجان من جبينه، سيخوض نزالا ينتهي بمقتل صديق له من دون قصد منه، لكنه سيكتشف أن صديقه ما هو إلاّ كائن شيطاني أيضا.

ونمضي مع هذا القسم من الفيلم المبني على الخارقية والخيال العلمي، حيث يخوض هيلبوي صراعات شرسة مع خصوم أعتى منه ويقتصّ منهم، لكنه خلال ذلك يتعرّف على حقائق في مسار تلك الفانتازيا والخيال، ومنها كيف أن ألمانيا النازية وظّفت ساحرا لكي تخوض آخر معاركها ضد الحلفاء ليتم الإجهاز على تلك الخلية، وكل ذلك في إطار خلية موازية تعنى بدراسة الخوارق والتصدّي لها يعمل فيها هيلبوي مع والده.

وفي موازاة ذلك، سوف يجري البحث عن أطراف الساحرة المبعثرة قبل المئات من السنين لكي تتولى إنهاء العالم، لكنها تتيقّن من أن هيلبوي هو الذي سوف يمتلك القدرة الخارقة باستعادة سيف الملك آرثر الذي بواسطته يتم إنهاء البشرية بالتحالف معها.

يعيش هيلبوي صراعا حادا بين انتمائه للبشر وبين القدرات الخارقة التي تتعدى قدرات الإنسان العادي وتماهيه مع الأشرار الذين يريدون إفناء العالم، وبمجرد العودة إلى أسطورة سيف الملك آرثر سوف ينتقل هيلبوي إلى منطقة السحرة والشياطين، لكنه يعدل عن تلك المهمة في اللحظة الأخيرة ويعود إلى عالمه البشري بعد القضاء على الساحرة.

حفل الفيلم خلال ذلك بالعديد من الانتقالات المكانية وتشعّبت أماكن التصوير ما بين زمننا الحاضر وبين الأزمنة السابقة، واستخدم المخرج لهذا الغرض العديد من الحلول الإخراجية والخدع السينمائية والغرافيك والمؤثرات البصرية لتقديم شحنة قوية من الأحداث المتلاحقة والصراعات بين القوى التي تريد فناء العالم وبين المضادين لها.

نجد في هذا الفيلم الكثير من اللمسات التي شاهدناها سابقا في سلسلة "ملك الخاتم" أو في مسلسل "لعبة العروش" ومنها العودة إلى الأساطير والمرويات والحكايات الشعبية في الموروث الإنكليزي، فضلا عن قصص السحرة والساحرات التي طالما ارتبطت بهذا الموروث.

ولعل من جماليات هذا الفيلم هو المزج بين الفانتازيا الخيالية والتاريخية وبين واقع الزمن الراهن، حيث نستسيغ مع تدرّج الأحداث ذاك الانتقال من أوكار السحرة والساحرات الغرائبية وبشكل مفاجئ إلى شوارع لندن ونهر التيمز واستخدام الهاتف النقال وسيارات لاندروفر البريطانية الشهيرة وما إلى ذلك.

وفي كل هذا المزيج المكاني والزماني تم تكريس سردية سينمائية فانتازية شديدة الجاذبية قوامها الأساسي، وجود بطل يمتلك قدرات خارقة لا يقهر، بتجاوزه لملامح البشر مع بقايا قرنين وذيل وكف باطشة ضخمة.

وبناءا على الشخصية المحورية في الفيلم التي تدافع عن البشر في وجه الأشرار والساحرات، سوف تنتظم الأحداث ويكون لشخصية هيلبوي مساندون، وخاصة في القسم الأخير من الفيلم بانضمام أليس (الممثلة ساشا لين) والتحرّي ديميو (الممثل دانيال دي كيم)، حيث يكمّلان مهمة هيلبوي من خلال قدرة أليس على مخاطبة الأرواح وتقمص ديميو شخصية النمر الشرس الخارج عن السيطرة، وبذلك تتّسع مساحة المغامرة ويتعزّز صراع هيلبوي مع الساحرة.

ومع ذلك، لم يسلم الفيلم من تكرار الشكل النمطي الذي طالما ظهر في أفلام من هذا النوع، لكن ميزة "فتى الجحيم" هي الإيقاع السريع في الانتقالات المكانية وصولا إلى زمننا الراهن، وكان ذلك كفيلا بتقبّل التماهي مع المشاهد التاريخية والأسطورية وإعادة المشاهد إلى الزمن المعيش وقد تكرّر ذلك مرات عدة. من جانب آخر هناك مساحة الصراع والمغامرة القائمة على ثيمة الخيال العلمي والأسطورة وكل ذلك تم مزجه بطريقة ما، ربما لتوفير متعة إضافية للمُشاهد الذي ربما يجد في هذا الفيلم ما يبحث عنه.

موهبة التأثر بالآخرين

فاروق يوسف
كاتب عراقي

"ما لا أعرفه من عالم الرسم أكثر بكثير مما أعرفه"، تلك حقيقة أعترف بها لنفسي كلما زرت معرضا استعاديا لفنان أو فنانة عالمية كبيرة لم يسبق لي أن رأيت أعمالهما. عزلة العالم العربي عن العالم جعلتنا نقع في هوّة عميقة من الجهل الذي يبدو أكبر من أن نتمكن من استدراكه.

أتذكر أن أحد الأصدقاء كان قد حدثني قبل عقود عن انهماكه في تأليف كتاب عن رامبرانت، وحين سألته عن عدد المرات التي رأى فيها أعمال ذلك الفنان، أخبرني بأنه لم ير عملا أصليا واحدا في حياته. لقد سحره رامبرانت من خلال الصور التي رآها في الكتب فقرّر أن يؤلف كتابا عنه. تلك واقعة هزلية تدعو إلى البكاء.

فعلى سبيل المثال كان الإسباني تابيس واحدا من أكثر المؤثرين في الانقلاب التقني الذي شهدته سبعينات القرن العشرين في العالم العربي في ظل حقيقة أن معرضا واحدا لم يُقم لتابيس في أي مدينة عربية. كانت صور أعمال تابيس هي مصدر الإلهام البصري.

وذلك لا ينفي أن عددا من فنانينا كانوا قد وقفوا أمام أعمال ابن برشلونة، ولكن نسبة ذلك العدد لا تمثل شيئا بالمقارنة بمن صار تابيس بالنسبة إليهم أيقونة مقدسة.

تذكّرت ذلك فيما أنا أتجوّل بين لوحات الرسامة الأميركية لي كرسنر (1908/1984) وهي زوجة الرسام الشهير جاكسون بولوك. وقد يكون مفاجئا إذا ما قلت إن كرسنر أكثر أهمية من زوجها وأعمالها هي ذات قيمة جمالية تجعلها تقف في الصف الأول من فناني التعبيرية التجريدية.

لم أكن قد رأيت عملا لها، وأعترف بأني لم أسمع بها، وذلك دليل على جهلي. لو أن رسوم كرسنر وصلتنا لتغيّرت أساليب رساميناً.

أنا متفائل. ذلك لأن التأثر هو الآخر في حاجة إلى موهبة عظيمة تفرّق بينه وبين التقليد. تلك موهبة كان رساموا الكبار يمتلكونها. وهو ما ينبغي أن نتعلّمه.

جورج دورينياك فنان فرنسا المنسي يستعيد ألقه في معرض باريسي

يحتفي متحف مونمارتر بالعاصمة الفرنسية باريس بفنان طوى النسيان ذكره هو جورج دورينياك، هذا الذي قال عنه رودان إنه ينحت رسومه. فرغم انتمائه إلى مدرسة باريس، وإنجازه أعمالا بأسلوب متفرد، لم يُنظّم له أي معرض منذ قرابة قرن.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

لم نصدق أن آخر معرض أقيم لجورج دورينياك (1879–1925) كان عام 1928، وهو الذي كان صديقا لموديلياني وروردان وسوتين، وكان إلى ذلك عضوا في ما سمّي بمدرسة باريس، وشارك في صالون الفنانين المستقلين. والسؤال الذي يطرحه اليوم الكثير من زوار معرضه في متحف مونمارتر الباريسي، أي في الحي الذي قضى فيه جانبا من حياته: كيف اختفى فنان بهذه القيمة من الذاكرة الفنية الجمعية؟

ولد دورينياك في بوردو حيث التحق في سن الثالثة عشرة بالمدرسة المحلية للفنون الجميلة، ثم انتقل إلى باريس لينخرط في المعهد الوطني للفنون في مرسم ليون بونّا (1833–1922) الذي كان يلقب برسام البورتريهات الأول في الجمهورية الثالثة، ولكنه لم يبق فيه سوى ستة أشهر، غادر إثرها المرسم ليبدأ مسيرته كفنان مستقل، حيث تميزت أعماله الأولى باستلهام منجزات الحركة الانطباعية، ومؤثرات المدرسة الإسبانية.

أقام أول الأمر في هضبة مونمارتر الشهيرة، وبدأ يسجّل حضوره في الساحة الفنية، خصوصا بعد مشاركته عام 1902 في صالون الفنانين المستقلين الذي كان يرأسه بول سينياك، ثم انتقل إلى إحدى ضواحي باريس الشمالية (فرنوي سور سين)، حيث أنجز عدة أعمال في الرسم والنقش والزخرف والخزف، متأثرا بأعلام بارزين في ذلك الوقت، أمثال أوجين كاريير، وجان فرنسوا ميّي، وروردان، إلى جانب سينياك.

وبقي فيها إلى أن سلبه أحد المتحيّلين ما جمّعه طيلة أربعة أعوام، وكان يؤمل بيع بعضا من تلك الأعمال ليضمن عيشه، ما اضطره إلى الانتقال إلى باريس حيث أقام في حي مونبرناس، وكان مركز الحركات الفنية والأدبية في ذلك الوقت.

هناك خالط عدة فنانين وربطته صداقة متينة بموديلياني وشاييم سوتين، وسرعان ما غيّر أسلوبه بشكل جذري، إذ تخلّى عن اللون، وبدأ مرحلته السوداء التي اشتهر بها، والتي تميّزت بوجوه ومناظر عري في لون الأبنوس، باستعمال قلم الفحم، والحبر الدهني. وكان في موازاة ذلك يشتغل على عدة مشاريع كالسجاد، والخزف، وزجاج الكنائس، حول ثيمات مقدسة أو مدنسة، يستلهمها من العصور النورماندية والوسطى والقوطية، كلما أنجز لافتة صالون الخريف عام 1922 ليكشف عن وجه آخر من موهبته.

وتميز دورينياك عن التيارات الفنية السائدة في عصره بأسلوب اختطّه لنفسه، واعتمد أساسا على رسم الجسد في شتى وضعياته، بالدهن الزيتي والأصباغ المائية في البداية، ثم باستعمال قلم الفحم الذي يسمح بالحصول على ألوان سوداء عميقة، تعكس نوعا من اللمعان والتألق، وتعطي انطباعا بالرقة والنعومة.

وفي هذه الأعمال، يقترح دورينياك أجسادا موتورة، منحنية، ينظر إليها في الغالب من خلف، وتبدو في لون الأبنوس، تحت ضوء خافت، مؤطرة بشكل يجعلها تجريدية تقريبا، وهو ما أسماه النقاد بالتقنية الغسقيّة. وكان يمكن أن يمضي بعيدا في تجاربه الجريئة والمتميزة، لولا الموت الذي باغته وهو في سن الخامسة والأربعين.

كانت مسيرته تبشّر بمستقبل واعد، وهو الذي دأب على تجديد أساليبه، وتنويع أعماله، ولكن الموت كان راصدا له، إذ توفي عام 1925 عقب قرحة في المعدة. في العام الموالي، أي عام 1926، أقيمت له أربعة معارض، عقبها معرض استعادي في غاليري مارسيل بيرنهايم عام 1928، قبل أن يطوي النسيان خبره نهائيا، وكأنه لم يعش ولم ينتج، لاسيما أن مراسلاته كلها ضاعت، وأن أعماله لا تزال متناثرة ولم يقع رصدها كلها.

وهذا المعرض، الذي أراده المشرفون على متحف مونمارتر الفرنسية بباريس ردَّ اعتبار لفنان مهضوم الجانب، يضم أكثر من ثمانين عملا فنيا من لوحات ورسوم مائية، وبورتريهات مطلية بالأحمر أو مرسومة بقلم الفحم، أنجزها دورينياك ما بين عامي 1901 و1924، أغلبها لم يسبق عرضه إطلاقا.

وخصّص القسم الأول للمرحلة الانطباعية حينما بدأ دورينياك يقلد أساتذته برسم بوتريهات أسرته على طريقتهم، ويتلمّس مسارا خاصا يميّزه عنهم. وهو ما نلاحظه في القسم الثاني الذي حوى نحو خمسين عملا، أهمها "أوراق بالأسود"، وسلسلة الأقنعة والوجوه، وسلسلة العمال، وسلسلة الراقصات، وسلسلة العري.

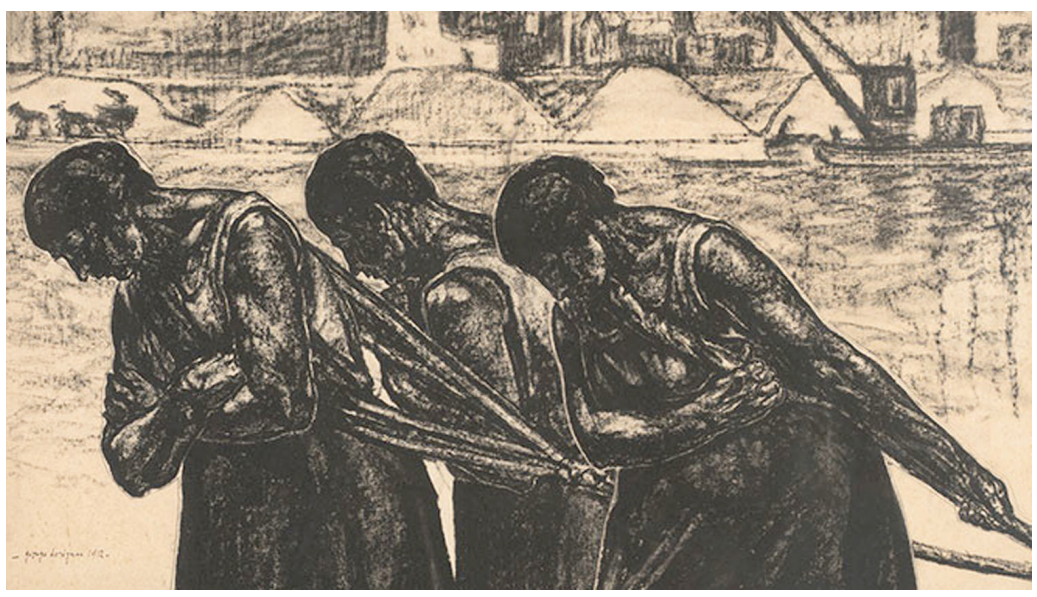

أسلوب فريد في الرسم أشبه بالنحت

وقد وضعت أعمال القسمين في موازاة أعمال الأساتذة الذين أخذ عنهم أو استلهم منهم، أمثال سينياك وكاريير وخاصة رودان، الذي قال عن دورينياك "إنه ينحت رسومه"، ملمحا بذلك إلى معرفته التامة بتكوين الجسد، وموهبته في رسم تفاصيله، كحصيلة لما تعلمه في معهد الفنون الجميلة على يدي أستاذه ليون بونّا.

وأما القسم الثالث فخصّص للمشاريع الزخرفية التي أعدها الفنان للزرابي والخزف والزجاجيات وحتى الفسيفساء، والطريف أنها تختلف جذريا عن بقية أعماله. ويتواصل المعرض خارج المتحف، في كنيسة سان فرنسوا داسيز التي تقع بجواره، حيث تعرض لوحة ضخمة لدورينياك بعنوان "المسيح مصلوبا".

هو فنان شهد له رفاقه بالتفرد، ولكن الحظ لم يسعفه، لا في حياته إذ عاش فقيرا وقضى فقيرا، ولا بعد مماته.

> دورينياك هو فنان شهد له رفاقه بالتفرد، ولكن الحظ لم يسعفه، لا في حياته إذ عاش فقيرا وقضى فقيرا، ولا بعد مماته